مناقشة السندي في مقاله

بعنوان :

(التوضيح لإفك الأحمدية القاديانية

في زعمهم وفاة المسيح)

هاني طاهر

قرأت عبر أكثر من موقع على الإنترنت مقالا بهذا العنوان لشيخ يُدعى صالح السندي؛ يعمل محاضرًا بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وقد حشا مقاله كمًّا من الكراهية والحقد، وحاول فيه – عبثًا- إثبات حياة عيسى في السماء، وحاول أكثر أن يُقنع القارئ أن الأحمدي كاتب المقال الذي ردّ عليه قد كذَبَ فيما نسبه من أقوال لبعض العلماء السابقين.

وفيما يلي ردٌّ تفصيلي على مقاله:

ذكر في بداية مقاله أنه ابتُلي بالاطلاع على رسالة صغيرة الحجم عظيمة الضرر عنوانها: (وفاة المسيح بن مريم والمراد من نزوله).

وهو في قوله هذا يُشكر على صراحته واعترافه بقوة حجج هذه الرسالة رغم صغر حجمها.. وهي بلا شك ذات ضرر عظيم على الشبهات الواهية التي يعتقدها والمتعلقة بحياة المسيح عليه السلام.. لكنها ذات فائدة عظيمة له كونها تقضي على الشوائب النصرانية في عقيدته.

وقبل افتتاحه بالرد قال إنه "يجدر التنبيه على أن هذه الفرقة الأحمدية (القاديانية) فرقة ضالة كافرة بإجماع علماء المسلمين، وقد صدرت بذلك فتاوى متعددة من عدد من المجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي، ومنها : المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة كبار العلماء

بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام والمغرب والهند وغيرها.»

الرد على تكفير الجماعة:

إن توطئته هذه تؤكد خوفه من مواجهة هذه الحجج الدامغة، وتبين خشيته على من يقرؤها.. فكان لا بدّ له من أن يبدأ بهذه الافتتاحية ليحذر الناس من القراءة بإنصاف وموضوعية، بل لا بدّ للقارئ أن يكون منحازا ضد جماعتنا! أليس (الجهابذة!) من كل حدب وصوب حكموا بكفرها؟! فإذا قرأ أحدُهم وأخذ بالاقتناع بما في كتب جماعتنا الأحمدية، فعليه أن يتوقف عن ذلك، وألا يتابع سيْره، فهذه الجماعة حُكم بكُفرها من هذه الجمعيات والهيئات التي سردها!

هل التكفير يقتضي المقاطعة؟

يقول بعد ذلك مباشرة: «وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجب عدم الالتفات إلى شيء من مؤلفاتهم أو الاشتغال بها، بل الواجب إتلافها والتحذير منها ومن أهلها؛ حماية لحياض الدين، وقياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.»

الواجب تجاه الجماعات الكافرة أو المبتدعة

لنفرض –جدلا– صحة ما ذهب إليه في وصف جماعتنا بالكفر والخروج من الملة، فهل يصح قوله بوجوب إتلاف مؤلفاتها والتحذير منها؟!

لقد اتبع الكاتب في اقتراحه هذا سنة الكافرين في مواجهة المؤمنين عبر التاريخ، إنها: ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلكم تغلبون﴾.. إنها ﴿أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾.. إنها ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾..

أما سنة المؤمنين في مواجهة المخالفين فهي ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾

لذا فإننا نواجه باطله بالتي هي أحسن، ونحن ندعو أفراد جماعتنا ليقرءوا مقالته ومقالة غيره ممن يفترون على جماعتنا، ليعرفوا البون الكبير بين نقاء الإسلام الذي تتبناه جماعتنا الإسلامية الأحمدية وبين أفكار معارضينا الشوهاء؛ فيفرّقوا بين صِدقنا وبين كَذِبهم، وبين عَدْلنا وبين ظُلْمِهم، فيزدادون إيمانا بالحق وتمسكا به.

ثم إن هذا الكاتب قد خالف حكمَه بالمقاطعة، فاشتغل برسالة قصيرة لأحد الأحمديين وأخذ يرد عليها! فهل هذا حلال عليه حرام على عامة المسلمين؟ إن هذا يكشف اضطرابه وتناقضه مع نفسه، كما يكشف أنه يريد أن يتحكم بالقارئ ويمارس الوصاية الفكرية عليه.

تسرعه:

يعترض على الكاتب الأحمدي لنقله حديث ولا المهدي إلا عيسى، مبينا أن النص يذكر : (ولا مهدي-من دون الـ التعريف- إلا عيسى).

وهذا يدل على تسرعه وعدم عودته إلى سنن ابن ماجة الذي أورد هذا الحديث، مع أن سنن ابن ماجة في متناول الجميع. وهذا التّكذيب المتسرِّع والاتّهام غير المبرر يتكرر في ثنايا مقاله كما سنرى. ونحن نحسن الظن ونقول: تسرّع، ولا نقول تعمّد الكذب والتضليل.

هل المسيح والمهدي صفتان لشخص واحد أم هما شخصيتان مختلفتان؟

يعترض السندي على قولنا بأن المهدي والمسيح صفتان لشخص واحد يبعثه الله تعالى للعالم أجمع مجددا للشريعة الإسلامية وباعثا لها. فهو يرى أن حديث ابن ماجة لا يصح. ولم ينقل متنَ هذا الحديث: (لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلاّ شِدَّةً ولا الدُّنْيَا إِلاّ إِدْبَارًا ولا النَّاسُ إِلاّ شُحًّا ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ولا الْمَهْدِيُّ إِلاّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (ابن ماجة، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ٤٠٢٩)

وللرد على ما ذهب إليه نقول:

١-إن من الخطأ التسرّع بتضعيف هذا الحديث من دون دليل. وهذا سنده: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْجَنَدِيُّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال... ولم يذكر السندي أن الرسالة التي يرد عليها قد أوردت قول ابن معين في أن محمد بن خالد الجندي ثقة.. وهذا تضليل متَعمَّد. أما تجهيل الحاكم له فمرده

إلى عدم شهرة هذا الراوي، وليس لعيبٍ فيه.. ويكفي أن نعلم أن الراوي عنه هو الشافعي ذاته.. وأما سبب تضعيف عدد من العلماء للحديث فمردُّ ذلك إلى متنه الذي ظنوه مخالفا لأحاديث أخرى. بيد أن نظرة متعمقة بمتن الحديث تظهر أنه من مشكاة النبوة نابع... لاحظ قوله ﷺ: لا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلاّ شِدَّةً ولا الدُّنْيَا إِلاّ إِدْبَارًا ولا النَّاسُ إِلاّ شُحًّا .....

ثم إن قولنا بإن المهدي والمسيح شخصية واحدة لم يعتمد على هذا الحديث فقط، بل هناك حديث آخر يبيّن أن المسيح هو المهدي، حيث أخرج أحمد في مسنده (قَالَ يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلا) (مسند أحمد، ٨٩٥٥)

لقد كان الرسول ﷺ يتحدث عن شخصية واحدة، عن مبعوث واحد، فيلقبه مرة بالمهدي ومرة بالمسيح، ومرة بالإمام.

ثم إن المهدي صفة للشخص وليس اسما باتفاق الجميع. إذن، لماذا لا يقولون إن المسيح صفة أيضا وليس اسما؟ وبالمحصلة لماذا لا يُقال إنهما صفتان لشخص واحد؟ أما ذكر اسم عيسى عليه السلام فليس غريبا، بل هذا من باب التشبيه البليغ؛ حيث يحذف وجه الشبه وأداة التشبيه. والمقصود سينزل شخص شبيه بعيسى في أمور كثيرة متعلقة بظروف بعثته وبمهمّته.

ومما يؤكد هذا أيضا **الحديثُ الذي رواه البخاري** والذي يصف عيسى ابن مريم وصفًا مختلفًا عن المسيح المنتظر، ففي رحلة الإسراء رأى رسول الله محمدﷺ عيسى ابن مريم، فوصفه بأنَّه أحمر جعد، وهذا الحديث مروي في البخاري عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّه مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ(البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) . بينما وصف عيسى الذي رآه في المنام والذي سينزل فيما بعد بأنَّه آدم سبط الشعر، كما في الرواية التالية في صحيح البخاري عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ به شَبها ابْنُ قَطَنٍ وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ(البخاري، كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام).

والدليل الأهم من هذه المحاجّات العقلية هو ثبوت موت المسيح عليه السلام يقينا، وحيث إن أحاديث نزول المسيح صحيحة، فقد وجب حملها على شخص شبيه به من هذه الأمة كما هو مبيّن بالأدلة في مواقع أخرى..

أما مسألة أن المبعوث سيكون شخصا واحدا متصفا بالصفتين فهي على قوة أدلتها عندنا متحققة عمليا أيضا في شخص حضرة مؤسس الجماعة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. أي هي ليست مجرد فرضية بل أصبحت أمرا ملموسا جاء بها شخص يعلن أنه هو المبعوث وأنه مطلوب الإيمان به على هذه الصورة. أما ما يقول به الكاتب فهو مجرد فرضية ضعيفة الاستدلال قائمة على رفض الأحاديث جزافا وضربها بعضها ببعض، وليس لها تحقق ملموس، بل هي تصور مستقبلي. فشتان بين الأمرين!

عقيدة المسلمين بشأن المسيح

يقول السندي: "يعتقد المسلمون بما تضمنته الآيات والأحاديث المتواترة بأن المسيح عيسى عليه السلام رفعه الله تعالى إلى السماء، وأنه باقٍ حيًّا فيها إلى قرب قيام الساعة، إذ سينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويحكم بالشريعة المحمدية، ثم يموت – عليه السلام – كسائر البشر."

ثم يحتج بالإجماع على ذلك.

التعليق:

إن القول بصعود المسيح إلى السماء لا دليل عليه البتة؛ فلم ترد كلمة (السماء) مرتبطة بالمسيح في آية أو حديث مطلقا. ولا يختلف القول بحياته عن ذلك، فلم يرد في آية قرآنية أنه حي إلى الآن، كما لم يرد

ذلك في أي حديث. بل هذه استنتاجات من بعض العلماء الذين أخطأوا في تفسير قوله تعالى (بل رفعه الله إليه). ذلك أن الرفع هنا رفع المنقبة والدرجة وليس رفع المكان الذي يتنافى مع سياق الآية.. والذي يوقع القائل به في التجسيم ووصف لله بأنه محاط بجهات بدل القول بأنه بكل شيء محيط.

وبالتالي فإن القول بصعوده إلى السماء يبطل بداهة، ولا يختلف القول بحياته إلى الآن عن ذلك.

أما قوله إن مهمات المسيح قتل الدجال وكسر الصليب وقتل الخنزير فإنه لم يوضح لنا كيف يتم ذلك! ولعله يظن أن المسيح ينزل ليلاحق خنازير البراري!! مع أن الله تعالى لم يأمرنا بمنع غير المسلمين من أكل لحم الخنزير، بل أوجب علينا أن لا نمنعهم من ذلك حينما قال ﴿لا إكراه في الدين﴾، فالإكراه محرم في العقيدة وفي الشريعة أيضا.. والمعنى أن المسيح سيخالف الشريعة الإسلامية ويرتكب الحرام حين نزوله على حد قولهم. أما قتل الدجال، حسب تفسيرهم، فيُرَدُّ عليه من بابيْن، أولهما: أن قتل أي شخص مهما عظم جسمه لا يحتاج أكثر من قذيفة بسيطة، بل طلقة في الرأس، فما بال العالم تغاضى عن هذا الدجال الذي توهموه! إن الدجال ليس شخصا أيها العقلاء! بل هو أمة.. إنها الأمة التي جاءتنا غازية من كل حدب وصوب.

وإنها لإهانة للمسيح أن يُظنّ أنه سيجول العالم لكسر الصلبان المنتشرة على صدور النصارى وعلى كنائسهم ومدارسهم و... وإنها لممارسة لفعل محرم مناقض لقوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾.. فعلى المسلم أن يُقنع النصراني بترك التثليث لا أن يكسر صليبه كسرا ماديا.

سنة الله

قال المؤلف: ((جاء في الرسالة ص١: (إن سنة الله العامة الشاملة لجميع بني آدم أن يعيشوا في الأرض، فكيف خرج عيسى بن مريم من هذه السنة المستمرة كما يزعم البعض).

وأجاب بقوله: إن الذي شاء هذه السنة وأوجدها قادرٌ على أن يستثنى منها من شاء، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. وهل بقاء عيسى عليه السلام حيا في السماء بأعجب من ولادته من أم بلا أب؟ أليس في هذا مخالفة للسنة الكونية كما تزعمون؟ وكل جواب تجيبون به على هذا الإيراد هو جوابنا عليكم في قولكم.))

التعليق:

إن قوله بأن ((الذي شاء هذه السنة وأوجدها قادرٌ على أن يستثنى منها من شاء، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه)) قول صحيح مبدئيا، بيد أن الله تعالى الذي أوجد هذه السنة أكّد أنه لا استثناء فيها، بدليليْن؛ أولهما: أن عددا من الآيات القرآنية ذكرت أنه لا تبديل لسنة الله، قال تعالى ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (الفتح: ٢٤). وثانيهما: أن هذه

السنة بالذات أكدها الله تعالى بشكل خاص، كما جاء في قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ وكما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ: يَا جَابِرُ أَلا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأَبِيكَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلاّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قَالَ يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا..﴾ الآيَةَ كُلَّهَا. (سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله)

ولادة المسيح من غير أب:

لا يختلف مسلمان في أن المسيح عليه السلام قد ولدته أمه من غير أب، بيد أن هذا ليس مخالفا لسنة الله تعالى وإن كان مخالفا للعادة والمألوف. وعمليات الاستنساخ هذه الأيام مكّنت من إيجاد حيوانات من غير أب، ولا يختلف الحال بالنسبة إلى الإنسان؛ فليس المسيح وحده الذي ولد من غير أب. وهناك احتمالات أخرى لولادة أحد من غير أب، وقد نعلم بعضها وقد نجهل أكثرها.. المهم أن ولادة شخص من غير أب ضمن سنن الله في هذا الكون، رغم مخالفتها للعادة والمألوف.

أما بقاء أحد في السماء فأمر مختلف، ورغم أنه ضمن قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، لكنه مخالف لسنة الله التي قررها في هذا الكون، والتي لا استثناء فيها.

معنى خلا:

قال السندي: ((جاء في الرسالة ص١-٢ : الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ على أن جميع الأنبياء قد توفوا؛ باعتبار أن معنى (خلا): مات، وأن أبا بكر رضي الله عنه استدل بهذه الآية على موت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن جميع الأنبياء قبله قد ماتوا، وأجمع الصحابة على موته وعلى موت جميع الأنبياء قبله .

والجواب: لو سُلِّم بأن معنى (خلا) في الآية : مات، فقد دلت الأدلة على تخصيص عيسى عليه السلام من هذا الحكم، بمعنى أنهم قد ماتوا إلا عيسى عليه السلام.))

التعليق:

أين هي الأدلة التي خصصت هذا العموم؟ أين الدليل على أن عيسى عليه السلام حيٌّ حتى يقال إنه مستثنى أو مخصص من عموم الآية؟ إنه لا وجود لهذا الدليل البتة. إن الموجود مجرد استنتاجات مبنية على قوله تعالى ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وعلى الأحاديث التي تذكر نزوله، لكن هذه لا علاقة لها بحياته، ولا تدل عليها.

الإجماع على وفاة المسيح

يتساءل السندي عن دليل حصول إجماع الصحابة على وفاة المسيح... ويبدو أنه ظنّ أننا ندعي أنهم عقدوا جلسة وقرروا فيها الاتفاق على القول بموت المسيح عليه السلام.. فإذا كان يظن أن الإجماع المقصود هو بهذه الطريقة فهذا شأنه.. إن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن قد ثار بينهم قول بحياة المسيح أو وجوده في السماء حتى يحتجوا على هذا القول ويبطلوه. وإن الدليل الذي نورده بشأن إجماعهم يؤكد ذلك.. لقد كان الحوار الدائر بينهم عقب وفاة الرسول ﷺ يبيّن ذلك؛ فعندما توفي رسول الله ﷺ لم يُصدّق نبأَ وفاته كثيرٌ من الصحابة، وقال بعضهم: لعله ذهب لملاقاة ربه كما ذهب موسى عليه السلام حين واعده ربه لينَزِّل عليه التوراة. ثم جاء أبو بكر الصديق، وأعلن وفاته، مستشهدا بقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، فسكت الصحابة لما سمعوا أبا بكر، وحزنوا كثيرًا لتيقنهم منْ موت نبيهم.

هذه الحادثة تدل على أمرين:

١- لم يخطر ببال أحد من الصحابة وجود عيسى عليه السلام حيًا في السماء، بدليل أنَّ بعضهم تحدث عن رحلة موسى إلى الجبل، ولم يقل

أحد منـــهم: لعل نبينا ذهب إلى السماء كما صعد المسيح. ما يؤكد أنَّ الاعتقاد بحياة عيسى جاء متأخرًا بتأثير النصارى.

٢- لم ينكر أحد من الصحابة على أبي بكر استدلالـــه بآيـــة ﴿قَـــدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلـــه الرُّسُلُ﴾ على موت الأنبياء جميعًا قبل محمد ﷺ. وهذا يؤكد إجماعهم السكوتي على موت الأنبياء جميعًا.

إحياء المسيح للأموات:

يستدل السندي بقوله تعالى ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ على أن عيسى عليه السلام كان يعيد الأموات إلى الحياة في هذه الدنيا.. كما يستدل بما جاء في قصة البقرة في سورة البقرة: ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾. ويستدل بقصة إبـــراهيم عليه السلام: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي المـــوتى﴾. لكنـــه يتابع قائلا: "وهذا الجواب على سبيل التنـــزل في الجدال، وإلا فعيسى عليه السلام لم يمت كما تقرر آنفا".

التعليق:

إن الله تعالى هو المحيي والمميت، وليس هذا لأحد غير الله.. وإحيـــاء المسيح للموتى لا يختلف عن إحياء محمد ﷺ لهم، بل إن إحياء محمد ﷺ أوضح وأفضل. قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.. فالرسول ﷺ يحيي بنص هذه الآية، والإحيـــاء لا يكون إلا من الموت. وليس ثمة أي خلاف بين المسلمين في أن الإحيـــاء

هنا إنما هو من الموت الروحاني لا المادي. فلماذا لم يقولوا الشيء ذاته بالنسبة إلى المسيح عليه السلام؟ أم أنهم فرّقوا بينهما بتأثير من النصارى الذين بحثوا في الآيات القرآنية كثيرا ليدللوا على تثليثهم وادعاءاتهم بأن المسيح ابن الله.

أما قصة البقرة في سورة البقرة فلا علاقة لها بما ذهب إليه البتة.. إن هذه قصة أخرى مختلفة عن القصة السابقة في السورة ذاتها..

لقد تحدثت الآيات في سورة البقرة عن بني إسرائيل من الآية الحادية والأربعين وحتى الآية الرابعة والعشرين بعد المائة.. حيث ذكرت الآيات مساوئ هذه الأمة وجرائمها ونكرانها وكفرها حتى لا تمارس الأمة الإسلامية ممارساتها.. وكانت الآيات قد ذكرت أعمالهم الشريرة من خلال قصص تبدأ الواحدة منها بقوله تعالى (وإذ).. كما يلي:

وإذ نجيناكم، وإذ فرقنا بكم البحر، وإذ واعدنا موسى، وإذ آتينا موسى الكتاب، وإذ قال موسى لقومه، وإذ قلتم يا موسى، وإذ قلنا ادخلوا، وإذ استسقى، وإذ قلتم يا موسى، وإذ أخذنا ميثاقكم، وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، وإذ قتلتم نفسا، وإذ أخذنا ميثاق، ...

إذن، هما قصتان مختلفتان؛ قصة ذبح البقرة، وقصة القتل.. وقد أخطأ مِنَ المفسرين مَنْ ذهب إلى أن ذبح البقرة كان من أجل أن يتم إحياء الميت بها، ذلك أن الأصل في الآيات في هذه الحالة أن تقدّم قتل النفس

على ذبح البقرة الذي جاء نتيجة قتل النفس-كما يرون- وليس قبلها. وليس ثمة مبرر للتقديم والتأخير الذي لا يجوز إلا لنكتة بلاغية، وهنا لا يمكن أن يكون هذا التقديم والتأخير بسبب أهمية إحياء الميت بضربه ببعض البقرة، وليست الأهمية لمجرد ذبح البقرة.

إن موسى عليه السلام طلب من قومه أن يذبحوا بقرة ليزيل من أذهانهم قداستها، حيث كانوا يعبدونها بتأثير من الأقوام المجاورة.. وقد حاولوا جاهدين أن يحولوا دون ذبح هذه البقرة التي كانوا يعلمون أنه يقصدها من خلال عدد من الأسئلة التي لما تبيّن لهم أنه عالم بها تيقنوا أن لا يقول هذا إلا من عند الله فذبحوها وما كادوا يفعلون.. وانتهت القصة. ثم ابتدأت قصة أخرى، مفادها أن اليهود قتلوا نفسا، والله مخرج ما كانوا يكتمون، فأمر الله المؤمنين أن يضربوا القاتل ببعض جرائمه، أي أنه أمرهم أن يقتلوا القاتل بسبب بعض جرائمه وليس كلها، لأن قتله لا يكفي عقوبةً على جرائمه كلها، بل سيعاقبه الله يوم القيامة على هذا القتل..

إن حرف الجر (بـ) في (ببعضها) يفيد السببية، أي اقتلوه بسبب بعض جرائمه.. والخطاب هنا موجه لليهود المعاصرين للرسول ﷺ: أيها اليهود، تذكروا حين قتلتم هذه النفس العظيمة أو تآمرتم لقتلها، (ويحتمل أن المقصود بذلك محاولة اغتيال الرسول ﷺ)، فتدافعتم وادّعى كلٌّ واحد منكم أنه بريء ولا علاقة له بتلك الجريمة.. لكن الله يعلم ما تكتمونه.. فيا أيها المؤمنون اضربوا كعب بن الأشرف بسبب بعض

جرائمه. وبهذه الطريقة يحيي الله الموتى، لأن إحياء الموتى له عدة معانٍ، من أهمها: عدم قتل أنفس جديدة، قال تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾. أي أنَّ قتلَكُم القاتلَ يحيي الناس، مع أن ظاهر قتل القاتل يؤدي إلى قتل نفس، لكنه لما كان يمنع قتل غير هذه النفس سمي حياة.

ولها معانٍ أخرى يمكن أن تكون مقصودة في هذه الآية[1].

أما قصة إبراهيم عليه السلام فلا تختلف كثيرا، ولا تتحدث عن تقطيع طيور كما توهم بعض المفسرين، بل تتحدث عن (صرّها) أي ضمها والتعهد بها ورعايتها.. وهذا كله بخلاف التقطيع.. ثم إن إبراهيم عليه السلام لم يسأل عن الإحياء المادي، بل سأل عن الإحياء الروحاني.. ذلك أنه يعلم يقينا أن الله يحيي الموتى ماديّا، كما أنه لم يستفِد مما يظن البعض أنه حصل؛ فعملية تجميع أربعة عصافير موزعة على عدد من الجبال لا توضح للمرء عملية إحياء الموتى؛ فلا هو يرى كيف تدخل الروح الجسم ولا يعرف شيئا عن هذه العملية وحيثياتها.

لقد سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يُريه كيف يمكن إحياء هؤلاء القوم العنيدين.. كيف يمكن تليين هذه القلوب المتحجرة.. كيف يمكن هداية هؤلاء الكفرة موتى القلوب. فوضح الله تعالى له ذلك، وبيّن له أنه لا بد من رعاية هؤلاء الناس وتربيتهم والتلطف معهم.. تماما كما يحصل مع

[1] للاطلاع على هذه التفاسير ينصح بمراجعة التفسير الكبير للخليفة الثاني ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الطيور التي يربيها المرء في بيته ثم تألف هذا البيت وتظل تعود إلى صاحبها[٢].

مكانة نبينا محمد ﷺ بين الأنبياء

نقل السندي ما جاء في الرسالة ص١ : (لو كان من الممكن رجوع نبي من الأنبياء إلى هذه الدنيا لكان نبينا محمد المصطفى ﷺ أولى وأجدر بأن يُرسل مرة ثانية؛ لكماله وفضائله وتفوقه على سائر الأنبياء عليهم السلام).

وعلق على ذلك بقوله: ((والجواب: أولا: هذه الشبهة مغالطة مكشوفة؛ لأن الكلام ليس في رجوع نبي بعد موته، وإنما في نزوله وهو حي إلى الأرض؛ فسقطت الشبهة من أصلها.))

الرد:

لم نتحدث عن رجوع بعد موت، بل تحدثنا عن مجرد الرجوع، سواء كان الراجع قد مات وأحياه الله، أم ظل حيا خلال فترة غيبته. ولا شك أن رجوع نبي بعد آلاف السنين من بعثته تعطيه ميزة على غيره من الأنبياء، ولا بد أن يكون أفضلهم على الإطلاق.. فهذه ميزة ليس مثلها ميزة، وهي ليست مجرد معجزة كالعصا أو الناقة، بل هي ميزة فريدة من نوعها. وليس ثمة ميزة حصل عليها الأنبياء السابقون إلا وحصل محمد

[٢] للاطلاع على هذه التفاسير الرجاء مراجعة التفسير الكبير للخليفة الثاني مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

ﷺ على أفضل منها، لأنه أفضل النبيين. فقد كان يبرئ الأكمه والأبرص بأفضل مما كان المسيح، وكان يحيى الموتى بأفضل مما كان المسيح، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله بأفضل مما كان المسيح؛ فقد جعل رسول الله ﷺ من الأرضِيّين البؤساء روحانيين يحلّقون في الفضاء عاليًا.. إنّ الروح التي بثّها محمد ﷺ في نفوس هؤلاء الطينيين حوّلتهم إلى طيور محلّقة.. إلى سماويين يطيرون نحو المجد.. نحو العزة والشرف.. نحو حبّ الله والذوبان في حبّه. وهذا ما لم يتمكن المسيح إلا من جزء بسيط منه مقارنة بنبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

إن من الوهم تصور أن المسيح عليه السلام يخلق من العدم، أو أنه يعلم سر الروح والخلق بحيث يخلق خلقا ماديا، لأن الله تعالى هو الخالق وحده. وحتى لا يستغرب القارئ من تفسير هذه الآية يجدر تذكيره بداية بأن عيسى عليه السلام كان من عادته التحدث بالأمثال. وهذه الطريقة الرمزية تنبأت المخطوطات السابقة بانها سمة تُمَيِّز حديثه. يقول إنجيل متى (هذا كله كلّم به يسوع الجموع بأمثال. وبدون مَثَل لم يكن يكلمهم. لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي). ولقد أشار المؤرخون المتأخرون إلى هذه الخاصية التي تميز بها المسيح عيسى. تقول موسوعة الكتاب المقدس تحت لفظة يسوع ما يلي(وفي مألوف خطبه استعمل يسوع أسلوب المثل بحرية. كان يتحدث بالمثل إلى كل الطبقات ومع العامة بصفة خاصة. ومن دون الأمثال ما كان يتحدث إليهم). وعلى

ضوء هذه الحقيقة التاريخية لا تبقى أمامنا أية صعوبة في فهم أو بيان تلك الآيات التي تشير إليها الآية القرآنية الكريمة.

"ولم يرد في الكتاب المقدس ذكر لمعجزة خلق الطير هذه التي اشتهر بين الناس أنه قام بها. ولو كان عيسى حقا قد خلق طيرا فليس هناك ما يبرر حذفها من الكتاب المقدس، وعلى الأخص أن معجزة مثلها لم يقم بها أي نبي سابق. ويكون ذكرها دليلا على أفضليته على كل الأنبياء بالتأكيد، وسندا في ادعائهم بلاهوته الذي خلعه عليه أتباعه المتأخرون. إن من بين معاني اللفظة (خلق): القياس، والتحديد، والتصميم، والتشكيل، والصنع، والإيجاد. كما جاء في معاني المفردات. وقد استعملت الكلمة في الآية بالمعنى الأول لها. فإن فعل الخلق بمعنى الإيجاد لم ينسب في القرآن إلى أي كائن آخر سوى الله ﷻ. والواقع أن القرآن قد أكد بشدة على أن صفة الخلق إنما هي صفة تفرد بها الله ﷻ، وأعلن مرارا وتكرارا بأنه ﷻ هو الخالق لكل شيء. وكل من نُسب إليه الخلق ليس إلا مخلوقا لله، محروما من القدرة على خلق أي شيء. فمثلا، يقول تعالى: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد:١٧)، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل:٢١و٢٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج:٧٤)، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا

حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ (الفرقان:٤)، ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (لقمان:١١)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ (فاطر:٤١)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (الأحقاف:٥). أما تلك الفكرة السخيفة التي بمقتضاها يقال إن صفة الخلق التي تفرد بها الله وحده يمكن أن يُفوّضها سبحانه إلى غيره مؤقتا، فإن القرآن المجيد يرفضها بالمرة، إذ يقول تعالى ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل:٧١و٧٢)، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر:٣٩).

وعلى هدى ما سبق من بيان، وإذا تنبهنا إلى المعنى المجازي لكلمة (الطين) فإن قوله تعالى ﴿وَأَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَصِيرُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ يعني أنه إذا اتصل شخص عادي وضيع النشأة، ولكنه يمتلك القدرة الفطرية على النمو والارتقاء بالمسيح عيسى وَقَبِلَ رسالته فإن حياته تتحول تحولا كاملا؛ من رجل يتمرغ في الوحل ولا يرى ما وراء اهتماماته الدنيوية وحاجاته المادية، ويتشكل طيرا محلقا في

أجواء السماوات الروحانية. وهذا هو عين ما حدث. إن جماعة الصيادين في منطقة الجليل الذين كانوا موطئ الاحتقار لوضاعتهم، استحالوا إلى طيور محلقة بفضل الدّفعات الكريمة في تعاليم سيدهم، وأصبحوا هم أنفسهم معلمين ربانيين يرشدون بني إسرائيل، ويتحملون كل أنواع العذاب والأذى، ويقدمون التضحيات التي يزدان بها تاريخ آية أمة. يقول عيسى عليه السلام: (لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام. والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها) (متى ٦: ٢٥-٢٩)" (التفسير الوسيط)

ولا شكّ أن الرسول ﷺ قد حقق في هذا المجال أضعاف ما حقق المسيح عليه السلام.

ما الحكمة من عودة المسيح ثانية إلى الأرض؟

قال السندي: "إن فيما قدره الله سبحانه من رفع عيسى حيا ثم نزوله في آخر الزمان حكما عظيمة، منها: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه عليه الصلاة والسلام، وأنه هو الذي يقتلهم ويقتل الدجال معهم."

الردّ:

اليهود الذين زعموا أنهم قتلوا المسيح قد ماتوا قبل ألفي سنة، وليس من سنة الله تعالى أن يبعث القتيل أو مَن ظنّ الناس أنه قتيل ليردَّ على من

تَوَهَّمَ قَتْلَه، فكيف لو كان مجيئه ليردّ على أحفاد زاعمي القتل من اليهود بعد مرور عشرات القرون؟؟!!

ثم ألا يكفي القرآن الكريم ليردّ على زعم اليهود؟

ثم لماذا يقتل المسيحُ اليهودَ أجمعين؟ أليس بعضهم مسالما؟

إن القول بعودة عيسى عليه السلام لا يمكن تبريرها عقلا ولا نقلاً، بل هي مخالفة لسنة الله تعالى من أبواب عدّة.

ثم لم يرد أي دليل على عودته، ولا حياته ولا وجوده في السماء، بل وردت أدلة برفعه وبنزوله، وشتان بين النزول والعودة.. وشتان بين الرفع والحياة المادية.

أين إدريس عليه السلام؟

قال السندي: "إن لأهل العلم بالتفسير أقوالا عدة في تفسير قوله تعالى عن إدريس: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾، فمن أهل العلم من قال: إن الله ﷻ رفعه حيا إلى السماء ومات بها، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من السلف، فعلى هذا تكون الآية دليلا عليهم لا لهم.

وقيل: المقصود رفعه في الجنة، والجنة – ولا شك – سيدخلها بجسده وروحه، وذكر الفعل الماضي لا يشكل على هذا؛ إذ هو من باب تأكيد الوقوع، كقوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتَّقوْا رَبَّهُم إلى الجنة زُمَراً﴾، ، وقوله: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾....

التعليق:

قول أهل العلم هذا بحاجة إلى سند صحيح، وهيهات الحصول عليه! ثم إن قول العالم ليس بحجة وبخاصة أن القول برفع إدريس عليه السلام إلى السماء لا يمكن أن يوجد عليه أي شبهة دليل... ثم ما مبرر رفعه هو بالذات من بين جميع الأنبياء؟ وهل يرفع هو ويبقى محمد ﷺ في الأرض؟

وأما القول بأن المقصود رفعه إلى الجنة التي سيدخلها يوم الحساب، فهذا لا قيمة له، إذ إن المسلم لا يشك لحظة بأن الأنبياء سُيَرْفعون إلى الجنة.. ولا خلاف في هذه المسألة بين أحد.

السندي مُشبّه مُجَسِّم

يتابع قائلا: ((ثانيا: لو سُلِّم بأن المراد من الآية رفع الدرجات والمنزلة في حق إدريس عليه السلام فلا يلزم أن يكون ذلك مدلول الآيات الواردة في عيسى عليه السلام؛ لأنها صريحة في رفع الجسد والروح معا، لما يأتي:

أ-أن الله تعالى قيَّد هذا الرفع بأنه إليه حيث قال ﴿ورافعك إلي﴾، وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، ومن المتقرَّر في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أن الله تعالى في العلو، فيكون رفعه عليه السلام إلى السماء، بخلاف الرفع في حق إدريس عليه السلام فإنه مطلق: ﴿رفعناه مكانا عليا﴾، ويدرك الفرق بين الأسلوبين كل من شمَّ للغة العربية رائحة.))

التعليق:

يظهر من كلامه أنه يعتقد أن الله في السماء، وأن السماء مكان.. وهذا يعني أنه يرى أن الله محاط بالمكان.. أي أنه يُجسِّم الله، ويشبهه بالمخلوقات الناقصة المحتاجة! وهذا أمر ينزّه اللهَ عنه كلُّ من شمّ للإيمان رائحة.

إن قوله تعالى ﴿ورافعك إليَّ﴾ وقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾ كقوله ﴿إنَّ الله معنا﴾ وقوله ﴿عند مليك مقتدر﴾. وقوله ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وكما يقال: لحق فلان بالرفيق الأعلى، وقد علّق الشيخ محمود شلتوت على القول برفع عيسى إلى السماء من خلال هاتيتن الآيتين بقوله: ((وكلها لا يُفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدّس. فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (إليه)؟ اللهم إنَّ هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح)) (شلتوت، الفتاوى، ص٦٣)

إن إضافة كلمة (إليه) يشكل دليلا قائما بذاته أن الرفع هنا رفع الدرجة والمنقبة وليس رفعا مكانيا، لأن كل مسلم يعتقد جازما أن الله ليس محاطا في مكان، بل إنه بكل شيء محيط.. أي أنه ليس موجودا في حيِّز يسمى السماء.

أما قول السندي ((إن المتقرر في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أن الله تعالى في العلو))، فيجب أن نسأله: هل العلو هنا علو مكانيّ؟ فإذا

رد بالإيجاب، أضْحَكَ النّاسَ عليه، لأن السماء ليست في الأعلى، كما أن الأرض ليست في الأسفل، بل لا وجود (لأعلى وأسفل) في الكون، لأن الكون عبارة عن عالم كروي فيه عدد هائل من النجوم والكواكب السابحة من دون أن يكون أحدها أعلى من الآخر. أما إذا أجاب بأن العلوّ هنا علوّ درجة ومنقبة ومكانة، فقد اتّفق معنا.

نـــزول المسيح:

تابع السندي قائلا: ((أنه لو سُلِّم بأن الآية تحتمل معنى رفع المنـــزلة والمكانة؛ فإن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع صريحة المعنى وقاطعة الدلالة على أن الرفع كان للروح والجسد معا، وكذا النـــزول آخر الزمان. ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـــزير)))

التعليق:

مشكلة السندي وأمثاله أنهم يردّون المحكم إلى المتشابه بدل أن يردوا المتشابه إلى المحكم.. أي أنهم يفهمون النصوص قطعية الدلالة في ضوء النصوص ظنية الدلالة، وليس العكس ،كما هو معلوم بداهة. إن لفظة (النـــزول) لها عدة معانٍ، بينما تعبير (توفاه الله) ليس له غير معنى واحد؛ هو الموت. لذا كان يجدر أن نفهم (النـــزول) في ضوء النص على موت المسيح وليس صعوده إلى أي مكان مرتفع!

ومن هنا جاء قولنا بأن (النـــزول) هنا يعني المجيء، وليس الهبوط من أعلى إلى أسفل.. ولهذا التفسير أمثلة قرآنيـــة عديـــدة، مـــن أهمهـــا: ﴿وأنـــزل من الأنعام ثمانية أزواج﴾، أي خلق لكم. ولما كان عيسى قد ثبت موته، وما دام قد ثبت أن الميت لا يعود في هذه الدنيا، لم يبق إلا القول بمجيء شخص شبيه به هذه الأمة، وبخاصة أن المسيح عيسى بـــن مريم رسول إلى بني إسرائيل حصرا، كما قال تعالى ﴿ورسولا إلى بـــني إسرائيل﴾[٣].

رفع المكانة لا رفع الروح

يبدو أن السندي يظن أننا نقول برفع روح المسيح، حيث يقول: ((ولو كان المقصود برفع عيسى رفع روحه كما جاء في الرسالة فما هي الميزة لعيسى عليه السلام؟ إذ سائر المؤمنين إذا قُبضت أرواحهم عُرج بهـــا إلا السماء !))

بيد أننا نقول برفع الدرجة والمنقبة والمكانة وليس رفع الروح، ويمكن أن نسمي الرفع رفعا روحانيا، لكنه لا يعني رفع الـــروح، بـــل رفـــع الدرجة.

ولرفع الدرجة والمنقبة والمكانة بخصوص المسيح علاقة بمكيدة اليهـــود الذين أرادوا إهانته ومحاولة إثبات كذبه، كما أن لها علاقة بنفي اللعنـــة عنه التي ألحقها به النصارى الذين قالوا بأنه مات ميتة مخزية ملعونة على

[٣] انظر:الفصل الأول من كتاب(ماذا تنقمون منا).

الصليب فداء للبشرية. والرفع إلى الله هو التقريب منه بينما اللعن هو نقيض الرفع والذي يعني الإبعاد عن الله تعالى. ولهذا خصّ الله تعالى المسيح بالرفع دون سائر الأنبياء، وإلا فهم جميعا مرفوعون.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "وأمّا ذِكْرُ رفعه بالخصوصية في القرآن، فكان لذبّ ما زعم اليهود وأهل الصلبان، فإنهم ظَنّوا أنه صُلب ولُعن بحكم التوراة، واللعن يُنافي الرفع بل هو ضدّه كما لا يخفَى على ذوي الحصاة. فردّ الله على هاتين الطائفتين بقوله ﴿بَل رَّفَعَه اللهُ إِلَيْه﴾ . والمقصود منه أنه ليس بملعون بل من الذين يُرفعون ويُكرمون أمام عينيه. وما كان إنكار اليهود إلاّ من الرفع الروحاني الذي لا يستحقّه المصلوب، وليس عندهم رفع الجسم مدار النجاة، فالبحث عنه لغو لا يلزم منه اللعن والذنوب".. (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، مجلد ١٨ ص ٣٦٢)

معنى بل شُبِّه لهم:

يقول السندي: ((لو أريد موته لقيل: وما قتلوه وما صلبوه بل مات)).

الردّ:

ليس خافيا أن عدم فهمه لقوله تعالى ﴿ولكن شُبِّه لهم﴾ هو الذي أدّاه إلى ما ذهب إليه.

إنه يتصور أنَّ اليهود ذهبوا ليلقوا القبض على عيسى عليه السلام، فأُلقي شبهُهُ على إنسانٍ آخرَ، وتم رفع جسد عيسى إلى السماء

مباشرة. ويتصور أننا نقول أنه بمجرد أن نجا من الصلب مات.. وكأن الله تعالى قد ألقى صورته على إنسان آخر ومات المسيح مباشرة عند هذه اللحظة. بيد أننا لا نقول بذلك، بل نقول إن المسيح نفسه قد علق على الصليب ونجا من القتل عليه، بل أغمي عليه فظنوه مات، ولكنه عولج من آثار الجروح ثم هاجر ليبلغ بني إسرائيل المنتشرين في بلاد الشرق رسالة ربه. فالسندي يظن أننا نقول إن عدم الصلب يعني الموت الفوري!!

مهما يكن، فقصة الشبيه باطلة بأدلة عديدة:

أولها: إذا كان الله سينجي نبيه بهذه الطريقة، فما مبرر أنْ يُلقي بِشَبَهه على أحد آخر؟ فرفْعُه إلى السماء كافٍ لإنقاذه، وهذه خطوة إضافية لا تفيد شيئا في نجاة المسيح.

ثانيها: إنّ إلقاء الشبه على الشخص الخائن الذي وشى بالمسيح منقوض من خلال أنَّ الله تعالى لا يمكن أنْ يشوّه صورة نبيه بإلقاء صورته على إنسان خائن كافر.

كما لا يمكن أن تُقبل تلك الرواية التي تشير إلى أن عيسى عليه السلام قد طلب من أحد الحواريين أن يُضحّي بنفسه بدلا منه من خلال إلقاء شبهه عليه، لأن هذه الرواية مسيئة جدا إلى نبي الله، حيث تصوره إنسانا جبانا يهرب تاركًا أصحابه يموتون ويُقتلون بدلا عنه؛ فهذا مخالف لمهمة الأنبياء، بل مخالف للأخلاق الكريمة. فها هو نبينا محمد ﷺ

يصمد في أحد وحنين بعد أنْ لم يبق معه سوى ثلّة قليلة من المسلمين، بعد أنْ فرَّ البقية. ولم يهاجر إلى مكة إلا حين اطمأن على صحابته بعد وصولهم المدينة.

ثالثها: إنَّ إلقاء شَبه فلان على فلان قضية تلبيسية ليست من سنة الله إطلاقًا؛ فالله تعالى لا يتعامل مع البشر بهذا الغموض والتعقيد. إن هذه القصة مناقضة لسنة الله في بعث الرسل، وقد قال تعالى ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ (الفتح: ٢٤)

رابعها: قد ورد في التوراة أنَّ الميت معلقًا على الصليب ملعون من الله، ولا يمكن أنْ يكون نبيًا، فهل أراد الله أنْ يُلَبِّسَ على بني إسرائيل من خلال تيقنهم أنَّهم قتلوا المسيح صلبا؟

خامسها: ينسب الفكر التقليدي إلى عيسى عليه السلام أنه من أولي العزم من الرسل (مع أن كل الرسل من أولي العزم)، بمعنى أنَّه عانى واضطهد وتعذب.. وهذا لا شكّ فيه، أما حسب قصة الشبيه المزعومة فالمسيح لم يعان شيئًا، بل إنَّ الله رفعه إلى السماء قبل اقتراب الكفار منه!! بينما رأينا نبينا يُرمى بالحجارة، وتُلقى عليه الأوساخ، ويُشجُّ في المعارك، فكيف كان عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل إذًا؟

سادسها: قال تعالى ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾. ثم قال عزّ وجلّ ﴿إذ قال الله يا عيسى إنِّي متوفيك ورافعك إلي﴾،

((فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم إلى نحورهم، وأنَّه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه...ولست أدري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكرًا؟ وكيف يوصف بأنَّه خير من مكرهم مع أنَّه شيء ليس في استطاعتهم أنْ يقاوموه، شيء ليس في قدرة البشر؟ ألا إنَّه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريًا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا في شأن نبينا محمد ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّه وَاللَّه خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[٤]﴾"[٥].

سابعها: لو كان المعلقُ على الصليب عدوَّ المسيح فلماذا لم يصرخ ويقول: لست عيسى، بل أنا فلان بن فلان؟ ولماذا لم يخبر الناسَ بذلك أمُّ المصلوب وأبوه وعمه وذووه وخاله وبنوه وجيرانه وأصدقاؤه وحموه؟ فأين كان هؤلاء جميعا خلال فترة التعليق وما قبلها؟

ثامنها: يروي التاريخ أن ذلك المعلق قد خرج من القبر بعد ثلاثة أيام، وأنه التقى مع تلاميذه، وأنه أراهم جروحه، وأنه أكل معهم ووعظهم ومكث معهم أسابيع. فمن كان هذا الشخص؟ أليس هو المسيح نفسه؟ فلماذا لم يقل لهم: لستُ الذي عُلّق، بل آخر. وأين ذهبت جثة هذا الآخر؟

---

[٤] الأنفال: ٣١

[٥] شلتوت، الفتاوى، ص٦٤

تاسعها: كانت معظم القبائل الإسرائيلية في بلاد الشرق عند بعثة المسيح، ولو رفع إلى السماء قبيل حادثة الصلب لما صحّت الآية ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل﴾، إذ إنه بهذه الحالة لا يكون قد وصل تلك القبائل الأهم من القبائل الموجودة في فلسطين، لأنها الأكثر عددا بكثير، فهم عشرة أسباط من اثني عشر سبطا.

عاشرها: لو كان شبه المسيح قد وقع على شخص آخر لكانت الآية: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن وَقَعَ شَبَهُه على آخر)، أو (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه آخر به). لكن الآية تقول أنه شبّه لهم. والضمير المستتر (شبه لهم) يعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو المسيح، ولا ذكر فيها لرجل آخر، فتصبح الآية هكذا: (وَقَوْلِ اليهود إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ المسيحُ لَهُمْ بالمصلوب، أي شبه أنه ميت على الصليب. وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي صلبه أي في موته على الصليب لَفِي شَكٍّ مِنْ ذلك الموت على الصليب. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا).

باختصار، لقد خاب مكر اليهود، وفشلوا في قتل المسيح على الصليب، وشاء الله أنْ ينصر نبيه ويرفع درجته ومكانته وينزهه عن شبهة لعن الميتة صلبًا، فأكد أنَّهم ما قتلوه بأية طريقة، ولا بالصلب بالذات (حيث ذكر الخاص بعد العام لأهميته)، بل إنَّ الله رفع درجته ومكانته. وقد اشتبه عليهم قتله؛ وظن كثير

منهم أنَّهم ما قتلوه؛ إنَّما أُنزل عن الصليب حيًّا[٦]، ولم يمت، لذا قال تعالى في الآية ﴿وما قتلوه يقينا﴾ أي وما قتلوه وهم متيقنون من قتله، بل ظلوا في شك من أمر قتله. ومثال على ذلك: أنك لو ضربت أفعى بحجر، وظننت أنك قتلتها، نقول لك: أنت ما قتلتها بل شُبه لك، أو اشتبه عليك الأمر، ولا يفهم من هذا أحد أنك قتلت أفعى غيرها.

المعراج

يبدو أنه لم يفهم ما جاء في الرسالة التي يرد عليها، لقد حاول كاتبُ الرسالة الأحمدي فيها أن يقول: لقد رأى الرسول ﷺ في رحلة المعراج عددا من الأنبياء، وكان المسيح بينهم، فلا فرق بين المسيح وغيره من الأنبياء في الموت أو الحياة، وحيث إن المسلمين متفقون على القول بموت بقية الأنبياء جميعا، فإنه المساواة بين المسيح وبين بقية الأنبياء حتمية في هذه الناحية.

ومهما كان معراج الرسول ﷺ أهو كشف روحاني-كما نقول لوجود أدلة عديدة لا مجال لسردها هنا- أم رحلة جسدية، فهو دليل

[٦] يبدو -أول وهلة- أنّنا نقول بصلب المسيح عليه السلام، فيجدر أنْ نتذكر هنا أنَّ من عُلّق على حبل المشنقة ثم نزل حيًّا لا يُسمى مشنوقًا. وهكذا من أوشك على الغرق ولم يغرق لا يُسمّى غريقًا. ومثله، من جرح في المعركة ولم يُقتل لا يُسمّى شهيدًا. فالمشنوق من مات شنقًا. والغريق من مات غرقًا. والشهيد من مات في المعركة. ومن ثمّ، فالمصلوب من مات صلبًا. وعيسى عليه السلام لم يُصلب، بمعنى أنه لم يمت صلبًا. لكنه عُلِّقَ على الصليب، وتعذب وصبر، وأنزل حيًا.

قائم بذاته على مساواة المسيح بالأنبياء، فإذا كانوا أمواتا فهو ميت مثلهم..

أين ذهب المسيح بعد نجاته من الصلب؟

بعد أن نقل ما جاء في الرسالة حول نجاة المسيح وهجرته ووفاته في كشمير، قال: ((إنني أدعو القاديانيين جميعا أن يبحثوا في كتب السنة جميعها عشر سنين، وإن شاؤوا معها أخرى وثالثة ورابعة حتى يأتوا بنص صحيح عن رسول الله ﷺ أو عن أحد من أصحابه يسرد القصة مثل سردهم.))

الردّ:

إن رحلة المسيح إلى بلاد الشرق يؤيدها عدد كبير من الأدلة، أولها: قوله تعالى ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.. وهذه الربوة ذات القرار والمعين لا تنطبق إلا على كشمير حيث أوى إليها المسيح وأمه بعد اضطهادهما على أيدي اليهود.

وهذا الاستدلال ليس اعتباطيا أو منقطع السياق أو مجرد دعوى، بل إنه يأتي بعد التأكيد على عدم صلب المسيح كما يتوهم اليهود والنصارى، حيث آمنا بذلك يقينا من خلال القرآن الكريم. ثم يأتي بعد التأكيد على أنه سيموت ميتة عادية بعد سنين طويلة من تعذيبه على الصليب الذي عُلِّق عليه، وليس كما يتوهم كثير من المسلمين الذي يرون أن شخصا ما وقع عليه شبه المسيح.. ثم يأتي بعد العلم أن هناك

قبائل إسرائيلية كان قد سباها نبوخذ نصّر وسكنت في بلاد الشرق.. ثم من قوله تعالى الذي أخبر أن عيسى عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل، ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل﴾.. لذا كان عليه أن يبلغ تلك القبائـــل.. ثم من خلال أدلة تاريخية عديدة وأدلة طبية واضحة، وأثناء ذلك كله أدلة عقلية منطقية..

وللاطلاع على هذا الموضوع تفصيلا تجدر مراجعة كتاب (المـــسيح الناصري في الهند) للمسيح الموعود عليه السلام؛ ففيه الإجابة الـــشافية بالأدلة على هذه الرحلة.

وعدمُ ورود هذه القصة في حديثٍ واحدٍ لا يعني بطلانها، ذلك أنـــه يمكن استنباط قصةٍ أو حادثٍ من عدد من الأدلة.

ثم إن الإيمان بمكان قبر المسيح ليس مسألة ذات أولوية خاصة، فرغم يقيننا بأن قبره في سرينغار في كشمير، لكننا لا نركز على هذه المسألة.. المهم أن يؤمن المسلم أن عيسى عليه السلام قد مات ميتة عادية بعد أن نجاه الله من الصلب.. ثم هو يتساءل: أين ذهب المسيح بعد ذلك؟ فحين يجـــد لدى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ما يشبع نهمه للمعرفة في هذه المسألة فإنه يؤمن بها ويطمئن لها، بل ويراها-أي هذه القصة- دليلا آخر من أدلة صدق المسيح الموعود عليه السلام.

(هل كنت إلا بشرا رسولا) والمعجزات:

نقل من الرسالة الفقرة التالية: ((واعلموا أن القرآن المجيد لا يسمح لأحد أن يصعد إلى السماء بجسده ثم يترل منها، ألا تعلمون أن الكفار طالبوا النبي ﷺ أن يرقى في السماء ويترل عليهم كتابا يقرؤونه دليلا على أنه صعد إلى السماء، فرد الله عليهم: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾، فلو كان الصعود إلى السماء بالجسد ممكنا لبشر لكان النبي ﷺ أولى وأجدر أن يصعد إلى السماء أمام أعين الكفار ليؤمنوا به)).

ثم حاول أن يبطل هذا الاستدلال على عدم صعود المسيح عليه السلام إلى السماء بالأدلة التالية:

فقال: ((أولا: لقد ادعوا أن القرآن لا يسمح لأحد أن يصعد إلى السماء بجسده ثم ينزل منها؛ فيقال لهم:

ماذا تقولون في معراج النبي ﷺ ، أليس صعودا إلى السماء ثم نزولا منه؟ وجماهير المسلمين على أن ذلك كان بجسده وروحه. هل سيسلمون بذلك كحال المسلمين فتنقطع حجتهم؟ أم سيبادرون بالإنكار والتأويل – كعادتهم – فينكشف أمرهم للمسلمين أكثر؟!))

الردّ:

لم يكن معراج النبي ﷺ إلا كشفا أراه الله إياه وهو نائم في بيته. هذا الكشف العظيم كان مليئا بالأسرار والحكم والأوامر الربانية، وأعظم ما فيه أن الصلاة فرضت فيه.

ولم يكن معراج النبي ﷺ بالجسد، كما لم يكن بالروح، لأن الروح لا تفارق الجسد إلا عند الموت، بل كان كشفا ربانيا.. والكشف نوع من أنواع الوحي الذي ينـــزله الله على أنبيائه وأوليائه.

وقد حدث خلاف بين الصحابة بشأن المعراج وبشأن الإسراء، أكان بالجسد والروح أم كان رؤيا.. بيد أن الآية الكريمة ﴿سبحان ربي هـــل كنت إلا بشرا رسولا﴾ تؤكد رأي من قال بالكشف. كمـــا أن قولـــه تعالى في سورة الإسراء بشأن حادثة الإسراء إلى المسجد الأقصى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ تؤكّد أن الإسراء كـــشفٌ أو رؤيا، وليس بالجسد، فقد عُبِّر في الآية عن الإسراء بكلمة (الرؤيا).

أما دليله الثاني فقد قال فيه:

((ثانيا: أن الدعوى أعمُّ من الدليل فلا يستقيم الاستدلال؛ بمعنى أنه إذا سُلِّم أن الآية تدل على الامتناع فإنها واردة في شأن أمرين: صـــعود إلى السماء مع تنـــزيل كتاب يُقرأ، والبحث ههنا في قضية واحدة، وهـــي الصعود، فلا يلزم أن يكون ذلك ممتنعا.))

الردّ:

إن قوله تعالى على لسان رسوله ﷺ ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ متعلق بالصعود إلى السماء وليس بنـــزول كتاب عليه، بدليل أن إنـــزال الكتاب شيء حاصل؛ فالقرآن كان يتنـــزل وهو بينـــهم. كما أن إنـــزال الكتاب كان يُراد منه أن يكون ضمانا على أن الصعود

إلى السماء ليس شيئا من السحر. والمعنى أن القضية الحاسمة عندهم هي الصعود إلى السماء. لقد أراد الكفار من الرسول ﷺ أن يصعد أمامهم إلى السماء، ولما ظن بعضهم أنه يمكن أن يسحرهم ويهيئ لهم أنه صعد من غير أن يصعد، أضافوا شرطا آخر؛ وهو إنزال كتاب معه من السماء.. فرد عليهم أنه بشر. فردُّه متعلق بالصعود وليس بالكتاب، كما أن المقصود هو الصعود وليس الكتاب.

أما استدلاله الثالث:

«ثالثا: هل عدم الاستجابة يدل على امتناع تحقق المطلوب؟ لا شك أن كل مسلم سيجيب بالنفي؛ فإن الله تعالى لا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

يوضح ذلك أن النبي قال: ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾، ولم يقل: وهل يمكن أن يقع ذلك؟ أو نحوه، بل إن قوله ذلك يدل على أن المطلوب أمر لا يمتنع وقوعه، وإنما الأمر لله سبحانه الفعال لما يريد، إن شاء أجاب إلى ما سألوا، وإن شاء لم يجب، وما هو إلا رسول يبلغ رسالات الله وينصح لهم.»

الردُّ:

لو كان يمكن وقوع هذا الشيء لقال لهم الرسول ﷺ: سأدعو الله تعالى أن يحقق لي ذلك، لكن عدم تحققه لا يدل على عدم صدقي، بل إن الله إذا شاء فعل وإذا لم يشأ لم يفعل. لكن إجابته ﷺ كانت حاسمة

في أن ذلك لن يحصل ألبتة، والسبب أنه بشر.. أي أن الله تعالى أراد للبشر ألا يصعدوا إلى السماء، ولو شاء لهم ذلك-وهو قادر حتما- لما أجاب الرسول ﷺ هذه الإجابة. أي أن إجابته تؤكد أن الله تعالى قد قرر ألا يصعد أحد إلى السماء.

ثم أتى بالاستدلال الرابع، وهو:

((رابعا: إن كان يمتنع – كما يزعمون – الصعود إلى السماء فليمتنع أيضا ما ورد في السياق نفسه: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا﴾ إلى أن قال: ﴿أو ترقى في السماء ﴾ الآيات، فليقولوا باستحالة تفجير الينابيع من الأرض، وأن القرآن يمنع من ذلك، وليكونوا ضحكة العقلاء.

أَوَلا يَعلمون أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وأعظم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، فإذا أمكن ذلك فلماذا لا يمكن الصعود إلى السماء؟!))

الردّ:

إن الردّ التفصيلي على هذه النقطة يُدخلنا في موضوع ماهية المعجزة التي ننظر إليها على أنها ضمن سنن الله وليست مخالفة للسنن، وإنْ كانت مخالفة للعادة والمألوف.. فقد كانت المياه تحت الحجر الذي ضربه

موسى عليه السلام، فانفجر منه اثنتا عشرة عينًا. أي أنه عليه السلام ما زاد عمله عن إزاحة هذا الحجر.. فمَكْمَنُ الآية هنا هو الوحي النازل من الله إلى موسى عليه السلام الذي أخبره بهذا الموقع.

كذلك فإن هذا الرد (هل كنت إلا بشرا رسولا) يدل على امتناع تحقق هذه المطالب كلها؛ سواء كانت ممكنة أو غير ممكنة، وأن هذا لن يحدث مع النبي ﷺ كما لم يحدث مع نبي من قبله. فالمعجزات يحددها الله تعالى ولا تأتي وفقا لأهوائهم وتحت طلبهم. وعندما فجر موسى الينابيع كان الأمر ليس معجزة طلبها لهم كي يؤمنوا؛ فهم كانوا مؤمنين به أصلا، وإنما كانت استجابة لدعائه هو بالاستسقاء لقومه.

هل أجمعت الأمة على موت المسيح أو حياته؟

نقل من الرسالة الأصلية التي يردُّ عليه قول كاتبها: ((أن عقيدة وفاة عيسى تمسك بها صلحاء الأمة وكبراء علمائها.)) ثم ذكر أنه عدّد منهم أربعة عشر اسما فقط، وتساءل قائلا: ((ولا أدري عن بقية علماء الأمة، ما موقفهم من هذه القضية في نظر القاديانيين؟ وما موقفهم من العلماء الكثر الذين نقلوا إجماع العلماء على رفع عيسى ونزوله من السماء؟ وهؤلاء المذكورون سأورد ما يتعلق بهم فيما يأتي:

أولا: لقد نسبوا هذه العقيدة لابن عباس رضي الله عنهما؛ استنادا لتفسيره قوله تعالى: ﴿متوفيك﴾ أي: مميتك .

والجواب عن هذه الشبهة باختصار: أن مراده رضي الله عنه: وفاته آخر الزمان بعد نزوله، يؤكد هذا ما أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿رافعك ثم متوفيك في آخر الزمان﴾، انظر: الدر المنثور ٣٦/٢.

وابن عباس رضي الله عنهما هو الذي يفسر كلامه، وليس بحاجة إلى القاديانيين ليحملوا كلامه حسب أهوائهم . وعلى هذا فإن في الآية تقديما وتأخيرا؛ أي: رافعك إلي ومتوفيك بعد ذلك. وتقديم التوفي على الرفع في الذكر لا يقتضي التقدم في الزمن؛ لأن الصحيح أن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب. وتتميما للفائدة أذكر أن لأهل العلم في تفسير الآية أقوالا أخرى، منها: أن التوفي بمعنى القبض، وليس الوفاة المعروفة. ومنها أن الوفاة هنا بمعنى النوم، أي رفعه الله وهو في حالة النوم، والنوم يسمى وفاة، كما قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾، وقال: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾.))

الرد:

إنه وافَقنا على تفسير ابن عبّاس، لكنه حمله على ما بعد نزوله من السماء. أي أن ابن عباس فسّر الوفاة بالموت، لكنه قصد–حسب الرواية التي أوردها من دون سند– الموتَ بعد نزوله من السماء.. بينما نحن نقول بموته من دون أن يصعد إلى السماء!

أما هذه الرواية التي استدلّ بها على ما قصده ابن عبّاس، فليس لها أي وجود في كتب الحديث التسعة المعروفة، ولا غيرها ممن هم أقل شهرة.. إنما أخرجها ابن عساكر.. ونقلها عنه السيوطي في الدر المنثور من غير أن يورد لها سندا كاملا..

أما قوله إن "تقديم التوفي على الرفع في الذكر لا يقتضي التقدم في الزمن؛ لأن الصحيح أن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب." فهو كلام ملقى على عواهنه ولا فائدة ترجى منه، والأهم أن ترتيب الآية ومعناها ينقضه تماما. فإن كان هناك حاجة لتقديم التوفي فلا يكون ذلك إلا للأهمية؛ فما أهمية أن يبشره الله تعالى بالتوفي قبل أن يبشره بالرفع والنجاة؟

كذلك فإن الآية تتضمن أربعة أحداث مرتبة ترتيبا محكما ولا يمكن تقديم أي منها على الآخر وهي: التوفي، والرفع، والتطهير من الذين كفروا، وجعل الذين اتبعوا المسيح فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

وإذا وضعنا التوفي جانبا، فلا يختلف أحد في أن الأحداث الأخرى قد تمت بالفعل وأن يوم القيامة حق لا ريب فيه. فالمسيح قد رفع (مهما كان المعنى)، وهو قد طُهِّر من الذين كفروا، كما أن الذين اتبعوه – سواء من النصارى حتى بعثة الإسلام ثم المسلمون – هم دائما فوق مَن كفر بالمسيح وهم اليهود، وأن هذا الوعد سيستمر إلى يوم القيامة.

فلو كان ترتيب التوفي بعد الرفع، فهذا يعني أن المسيح الآن في مرحلة الرفع ثم عندما ينـــزل سيموت!.. فأين التطهير وفوقيـــة أتباعـــه؟ ألم تتحققا أيضا؟ ألا ينبغي أن تأتي الوفاة بعدهما في الترتيب؟

فإن قيل نعم.. إن الوفاة هي بعد التطهير والفوقية.. فمتى ستتم هـــذه الوفاة؟ أستتم قبل يوم القيامة أم بعده؟ لا شك أنه من المستحيل أن تتم بعد يوم القيامة، ولن يكون لها مكان إلا قبل التطهير والفوقية المتحققيْن بالفعل.

وهكذا، فالترتيب الصحيح لا يمكن أن يكون إلا بتقديم التوفي علـــى الرفع والتطهير والفوقية ويوم القيامة، أي كما هو ترتيب الآية.

أما قوله إن للتوفي معاني أخرى منها القبض وليس الوفاة المعروفـــة، ومنها النوم، فهذه المعاني لا تفيد أيضا مع عدم صحتها. وهي محاولة منه لتشتيت الفكرة.

فالتوفي قد ورد في القرآن الكريم في ٢٥ موضعا منها ٢١ موضـــعا لا خلاف على أنه يفيد الموت حتما، وفي موضعين جاء ليشبه النوم بالموت بسبب وجود قرينة النوم والليل في هذين الموضعين مما يصرف المعنى إلى المجاز، وفي موضعين جاءت لوصف حال المسيح وليس هناك ما يصرف هذا المعنى إلى المجاز. فالواجب أن نسلّم بأن الوفاة لا تعني سوى الموت للمسيح عليه السلام، وهو قول ابن عباس كما ورد سابقا.

ولو قيل جدلا بأن المعنى هو النوم – مع امتناع هذا المعنى بسبب عدم وجود قرينة– وبأن الله سيرفعه نائما، فما قيمة ذلك؟ ولماذا لا يرفعه مستيقظا كي يشهد فضل الله عليه؟

أما القول بأنه التوفي هنا يفيد الاستيفاء فهو معنى يرده القرآن ولا مثيل له فيه كما بينا، كما أن المعنى سيكون عندها: "آخذك وافيا"! فهل يعني ذلك أنه كان يخشى أن ينقص منه شيء عندما يرفعه الله؟

باختصار إن رده مع ما يتضمنه من إشكالات يعجز عن تقديم صورة متكاملة لما حدث، وهو محاولة لتشتيت المعنى ليس إلا.

هل قال الإمام مالك رحمه الله بوفاة المسيح؟

نقل السندي عن الرسالة قول الكاتب إن الإمام مالكا رحمه الله قال بموت عيسى عليه السلام، وذكر السندي أن الكاتب أحال ذلك إلى الشيخ علامة طاهر في بحار الأنوار . وعلّق على ذلك بقوله: ((وهذا من أسمج الكذب وأقبحه، ينقلون عن هذا الإمام الجليل هذه الكلمة في هذا الموضوع الخطير من كتاب لا يعرف لدى المالكية ولا غيرهم، فأين كلامه في الموطأ والمدونة؟ وأين كلامه في مصنفات تلاميذه وأتباع مذهبه؟)) ويتابع قائلا: ((ثم إنني قلت: لعلهم يقصدون كتاب: مجمع بحار الأنوار لمحمد بن طاهر الفتني، وبعد بحث في مظان الموضوع فيه تبين أنه ليس فيه نقل عن الإمام مالك بن أنس في هذا الموضوع، وإنما فيه تقرير مؤلفه عقيدة المسلمين في رفع عيسى ونزوله، وإجابة عما

يُتوهم من معارضة ذلك لقوله تعالى: (إني متوفيك ورافعك إلي)، انظر ٩١/٥ من الكتاب المشار إليه.

الردّ:

يظهر على المؤلف هنا تسرُّعٌ وجهالة وبذاءة لسان. أما قوله ((فأين كلامه في الموطأ والمدونة؟)) فهو يدل على شيء من الغباء، ذلك أن الموطأ كتاب حديث، والمدونة كتاب فقه، ومسألة وفاة المسيح ليست حديثا ولا فقها، بل هي مسألة عقدية لن توجد في هذين الكتابيْن.. وقد تتبعنا المصادر التي أوردت كلام الإمام مالك رحمه الله في موت المسيح عليه السلام فوجدنا أنها:

١-كتاب إكمال إكمال المعلم للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأُبيّ وهو شرح لأحاديث صحيح مسلم، حيث قال الشارح: "وفي العتبية قال مالك: مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة. قال ابن رشد: يعني موته: خروجه من عالم الأرض إلى عالم السماء. قال: ويُحتمل أنه مات حقيقة، ويحيا في آخر الزمان، إذ لا بدّ من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك. انظر: الوشتاني، محمد بن خليفة، الإكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج١ص٤٤٥.

٢-كما أورد قولَ مالك الشيخُ محمد طاهر الغجراتي في مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل، وهو قاموس لشرح غريب القرآن والحديث، حيث قال: ((والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: مات

وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" وتابع قائلا: ((ولعله أراد رفعه إلى السماء، أو حقيقته (أي حقيقة الموت) ويحيا آخر الزمان لتواتر خبر النـــزول." انظر: الغجراتي، محمد طاهر، بحار الأنوار، ج١ص٣٨٧.

٣-كما أورده ابن رشد في البيان والتحصيل، حيث قال: ((يحتمل أن يكون معنى قوله (بل رفعه الله إليه)، أي رفع روحه إليه بعد أن مـــات، ويحييه في آخر الزمان، فينـــزله إلى الأرض على ما جاءت به الآثـــار، فيكون قول مالك على هذا ومات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة علـــى الحقيقة لا على المجاز" انظر: ابن رشد، أبو الوليد، البيان والتحـــصيل، تحقيق محمد حجّي، إدارة إحياء التراث الإسلامي دولـــة قطـــر، د.ط، ١٤٠٦هـــ١٩٨٦م، ج١٨ص٤٤٨.

٤-وأورده القاضي ابن عطية في المحرر الوجيز، حيث قال: ((وقـــال مالك في العتبية: مات عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" ابن عطيـــة، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبـــد السلام عبد الـــشافي محمـــد، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ط١، ١٤١٣هـــ١٩٩٣م، ج١ص٤٤٤

إن الرسالة التي يردُّ عليها هذا السندي قصيرة جدا لم يكن مع كاتبها فرصة ليكتب هذه التفاصيل، ولو راح يكتبها لخرج عن مقصوده منها، ولأصبحت كتابا.

هل قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله بوفاة المسيح؟

نقل السندي عن الرسالة ما يلي: ((قال الإمام الرازي في تفسير الآية: (يا عيسى إني متوفيك: أي إني مُنهٍ أجلك، ورافعك أي رافع مرتبتك ورافع روحك إلي ... ثم يقول: ((واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله تعالى: ﴿ورافعك إلي﴾ هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة، كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة)).

ثم علّق بقوله: والجواب عن ذلك ما يأتي:

أ-أن العبارة الأولى المنقولة هي من جملة كذبهم الكثير؛ إذ لا وجود لها البتة! والتفسير موجود ونسخه منتشرة. وإذا كان كثير من المشركين والكفار يأنفون من الكذب لأنه في معيار القيم والأخلاق غايةُ السفول؛ فإن القاديانيين لا يزالون يرتكسون في حمأته المرة تلو الأخرى، والحمد لله الذي فضحهم بأقلامهم، وسيأتي ما يفضحهم أكثر.

ب- أن الرازي أورد في تفسير الآية أوجها عديدة فيها التصريح بأن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء بجسده، وأنه حي فيها حتى ينزل إلى الأرض.

بل إنه في أحد تلك الأوجه نقل الآتي: ((ولما علم أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه السلام رُفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده)). ثم تساءل: ((فماذا سيقول القاديانيون بعد هذا الكلام؟!))

ثم اعترف بوجود العبارة الثانية المنقولة من الرازي فقال: «أما العبارة الثانية التي نقلوها فإنها موجودة في آخر ذاك الموضع، وهذه عادة أهل الانحراف والهوى يأخذون من الكلام ما يوافق أهواءهم ويغطون ما سواه». ولما كان قول الرازي هذا لا يوافق ما يذهب إليه السندي من أن الرفعَ رفعُ المكان، راح يحلل قول الرازي بقوله: «إن الناظر في كلام الرازي يلحظ أنه قرر عقيدة المسلمين المعروفة بكلام طويل، ثم عقب بهذه العبارة، وتوجيه ذلك عندي أن له محملين:

الأول: أن كلامه هنا عن علو الله تعالى، إذ الرازي ينفي علو الله تعالى على طريقة الجهمية، فيكون تعليقه على كلمة (إلي) في الآية، وليس مقصوده ما يتعلق بعيسى عليه السلام لأنه قد مضى الحديث عنه، وقد قرر عقيدته في ذلك بكل وضوح، ومن ذلك قوله: (وقد ثبت الدليل أنه حي، وورد الخبر عن النبي ﷺ أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك) ٨/٦٠.

الثاني: أن يقال: إنه لا يرى أن هذه الآية تدل على رفع عيسى إلى السماء – فرارا من الإلزام بإثبات علو الله سبحانه – وإن كان يرى أن أدلة أخرى تدل على ذلك، وعدم الدليل المعين لا يعني عدم المدلول، إذ قد يثبت بدليل آخر، ويشهد لصحة هذا التوجيه كلامه المنقول آنفا. والنتيجة أن الرازي يعتقد رفع عيسى ونزوله، فليس في كلامه للقاديانيين مستمسك.»

الردّ:

لقد بلغ لسان السندي في هذا الموضع من البذاءة الغاية.. فهو يقول بملء فيه إن هذه العبارة من جملة كذب جماعتنا الكثيرة.. فهلاّ أطلعنا على هذه الكذبات الكثيرة؟! ونحن نتحدّاه أن يطلعنا على كذبة واحدة. وهنا يُعرف الكاذب الحقيقي؟

أما حقيقة ما قام به المؤلف الأحمدي في حديثه عن الرازي، فأُكرِّر أن هذه الرسالة التي يردُّ عليها السندي قصيرةً لا تتسع للتفاصيل، فصفحاتها سبعة من الحجم الصغير.. لقد لخّص كاتب الرسالة كلام الرازي بكلام من عنده في سطر واحد فيه إحدى عشرة كلمة، ثم وضع ثلاث نقاط ليدلل بهما على أن الكلام أكثر من ذلك، ثم أعقبه بكلام الرازي الذي جعله بين علامات تنصيص، بينما لم يجعل تلخيصه بين علامات تنصيص.. وهذا دليل واضح أنه لم يقصد أن ينسب هذا الكلام إلى الرازي.. أما قول الكاتب الأحمدي في بداية العبارة، قال الإمام الرازي في تفسير الآية، فليس دليلا على أنه يرى أن هذا كلام الرازي حرفيًا، بدليل أنه لم يجعله بين علامات تنصيص كما أسلفتُ.

وهنا علينا أن نستوضح فيما إذا كان الكاتب الأحمدي محقًّا في تلخيصه لاعتقاد الرازي، فنقول: إذا كان السندي قد اعترف بقول الرازي إن الرفع هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة، فما الخطأ في تلخيص الأحمدي بقوله: ورافعك أي رافع مرتبتك ورافع روحك إليّ؟!

أما قول الأحمدي: ((إني متوفيك: أي إني منه أجلك))، فهو مجرد استنتاج منه مبني على فهمٍ لمجمل أقوال الرازي في الآية؛ ذلك أنه إذا كان الرفعُ رفعَ درجة وليس رفع جسد، فلم يبقَ مجال للقول بالصعود الجسدي. أما ذِكرُ الرازي الرفعَ إلى السماء، فهذا مجردُ قولٍ من أقوال عديدة سردها الرازي من غير أن يكون قد تبنّاها وأخذ بها، وإن كان ذلك بحاجة إلى تعمّق ورويّة أحيانًا، فليس سهلا التفريق بين رأيه وبين ما ينقله دائما.. ويغلب على ظنّنا أن القول بالصعود إلى السماء هو مما نقله ولا يتبنّاه؛ بدليل عباراته التالية في تفسير آية (إني متوفيك)، حيث قال: ((واختلف أهل التأويل في هاتيْن الآيتيْن على طريقتيْن، أحدهما: إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها. وثانيهما: فرض التقديم والتأخير فيها. أما الطريق الأول فبيانه من وجوه))، ثمّ راح يُعدِّد هذه الوجوه، فذكر ثمانية وجوه، ولم يعلّق سوى على الوجه الأول منها بقوله: وهذا تأويل حسن. وهذا التعليق نفسه لا يعني أنه يتبنّاه، بينما لم يعلق على الوجوه الأخرى التي نقلها عنه السندي موحيًا أنه يقول بها.

وحيث إنّ الرازي يقول برفع الدرجة، فقد ضاق السندي ذرعًا به، فراح يتهمه بالجهمية.. حيث قال: ((إذ الرازي ينفي علو الله تعالى على طريقة الجهمية)). وأما قول السندي بأن الرازي يقول بالرفع الجسدي بأدلة أخرى غير هذه الآية، فهو مجرد وهم، وبخاصة أن الرازي لم يستدل بهذه الأدلة هنا، ولو كان يرى ذلك لأورد هذه الأدلة هنا، وجعلها من كلامه، كما فعل حين انتقد المشبهة الذين يستدلون بهذه

الآية في إثبات المكان لله وأنه في السماء، فقال: ((والمشبهة يتمسكون بهذه الآية في إثبات المكان لله وأنه في السماء، وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل. وهو من وجوه:

الوجه الأول: أن المراد إلى محل كرامتي، وجعل ذلك رفعا إليه للتفخيم والتعظيم ومثله قوله تعالى (إني ذاهب إلى ربي) (الصافات: ١٠٠)، وإنما ذهب إبراهيم من العراق إلى الشام، وقد يقول السلطان: ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي، وقد يسمى الحجاج زوار الله، ويسمى المجاورون جيران الله، والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم فكذا ههنا.))

أفليس من حقّ الكاتب الأحمدي أن يستنتج جملة قصيرة بناء على هذا كله؟!

ويتابع الرازي: الوجه الثاني: ((أن يكون قوله تعالى (ورافعك إليّ) معناه أنه يرفعه إلى مكان لا يملك الحكم عليه فيه غير الله، لأن في الأرض قد يتولى الخلق أنواع الحكّام، فأما السماوات فلا حاكم هناك في الحقيقة وفي الظاهر سوى الله.))

الردّ:

هذا الوجه الثاني ضعيف بدليلَيْن: أولهما: أن الحاكم الحقيقي هو الله في الأرض وفي السماوات، وهو عزّ وجلّ لا يعجزه حماية المسيح في الأرض.. وثانيهما: أنه يمكن القول إن الرازي جاء بهذا القول ليبطل

شبهات المشبهة من غير أن يتبناه، أي من باب إفحام الخصم، بدليل أنه في النتيجة قال: ((واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله تعالى: ﴿ورافعك إلي﴾ هو الرفع بالدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة، كما أن الفوقية في هذه ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة)).

وبهذا يمكننا تلخيص الموضوع بالقول إن من عادة الرازي أن ينقل أقوالا عديدة في المسألة الواحدة من غير أن يتبنّاها.. وحيث إنه يقول بأن الرفعَ في الآية رفعُ الدرجة وليس رفعَ المكان والجهة، بات سهلا استنتاج أنه يقول بوفاة المسيح.. لكن، استنتاجا منّا وليس نصّا منه. ويكفينا أنه يقول برفع الدرجة، والتي تتضمن أن الوفاة هي الموت. وطولُ لسان السّندي لا يغيّر حقيقة. كما يُحتمل أن يكون الأحمدي كاتب الرسالة قد نقل كلام الرازي من كتاب المسيحية للكاتب أحمد شلبي.

هل قال الإمام ابن حزم رحمه الله بوفاة المسيح؟

أنكر السّندي أن يكون ابن حزم قد ذكر وفاة المسيح في كتابه الفِصَل، وقد يكون مصيبًا في قوله هذا، لكن ابن حزم ذكر أن المسيح قد مات في كتابٍ آخر أشهر من كتاب الفِصَل؛ وهو المحلّى.. حيث جاء فيه: ((فالوفاة قسمان، نوم وموت فقط، و لم يُرِدْ عيسى عليه السلام بقوله(فلما توفيتني) وفاة النوم؛ فصحَّ أنّه إنّما عَنى وفاة الموت)) انظر: ابن

حزم، أبو محمد علي، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل، د.ط، د.ت، ج١ص٢٣، رقم المسألة ٤١.

وهذا يدلّ على تسرّعه كما يظهر ذلك في غير موضع من رسالته.

هل قال علماء آخرون بوفاة المسيح؟

ثم نقل الأحمدي في رسالته ما يلي: "وقد دعم عقيدةَ وفاة المسيح عيسى ابن مريم الكثيرُ من علماء الأمة الآخرين، نذكر منهم على سبيل المثال: العلامة الألوسي، والأستاذ الشيخ محمود شلتوت، والأستاذ محمد أبو زهرة، والأستاذ الأكبر الشيخ المراغي، والأستاذ عبد الوهاب النجار، والأستاذ الشهيد سيد قطب، والأستاذ صلاح إسماعيل".

فكيف علّق السندي على ذلك؟

لقد شكّ في نسبة ذلك إليهم، ثم قال: "لا حاجة إلى بذل الجهد في تتبع ذلك؛ لأنه لو ثبتت صحة ما نسبوا إليهم فإنهم ليسوا من الأئمة الذين يُرجع إليهم في مثل هذه القضايا. وهكذا طريقة أهل الأهواء إذا أعيتهم الحيلُ ذهبوا يبحثون في ركام الزّلاّت وعند خاملي الذِّكر لعلهم يجدون عندهم ما يسند بناءهم المتهدم.".

وهو في ذلك يسيء إلى هؤلاء العلماء أيّما إساءة! فهل شيخ الأزهر شلتوت ومحمد الغزالي ومحمد أبو زهرة وسيد قطب خاملو الذكر؟! وإذا كان محمد عبده والمراغي من خاملي الذكر فمن هو المعروف؟ أما قوله إن هؤلاء لم يؤمنوا بإمامنا المهدي فهذا لا علاقة له بموضوعنا هنا.. نحن

نتحدث عن وفاة المسيح وعن القائلين به.. أما لماذا لم يؤمن هؤلاء العلماء بالإمام المهدي عليه السلام، فهذا سؤال يُوَجّه إليهم وليس لنا.. أما نحن فنقول عن الحقِّ حقًّا مهما كان صاحبه.. ونمدح الفكرة الصحيحة حتى لو كان صاحبها مخطئا في أبواب أخرى.

لكن، بقي أن أذكر أن السندي لم يجعل الألوسي من خاملي الذكر، بل تناوله وحدَه قائلا إنه قال إن الله رفع المسيح من غير وفاة ولا نوم. وحيث إن الكاتب الأحمدي لم يذكر من أين أتى بهذه العبارة، فلم أستطع أن أُثبت صحّة ما نسبه للألوسي من تفسيره (روح المعاني)، لكني وجدتُ أحمد شلبي قد نقل هذه العبارة في كتابه الشهير: مقارنة الأديان، المسيحية، ط٨، ١٩٩٠، ص٥٢..

على كل حال، فليس مهمًا جدًّا أن نثبت أن عالمًا ما قال بموت المسيح أو بصعوده إلى السماء، فلدينا القرآن العظيم الذي صرّح بموته بوضوح.. ويكفي أن نقول إنه لا دليل على صعوده إلى السماء ولا على حياته من القرآن أو من الحديث البتة.. بل هي استنتاجات ظنية.

تأويل نصوص النبوءات:

ثم نقل السندي ما يلي مما جاء في الرسالة: ((واعلموا أن أكثر الأحاديث الواردة في شأن الدجال ونزول المسيح ابن مريم وعلامات ظهوره إنما هي كشوف ورؤى للنبي ﷺ، ولا يمكن أن تحمل على ظاهرها، وأكثرها تتطلب التأويل، ولفظ (ابن مريم) الوارد في الحديث

إنما هو اسم وصفي أُطلق على رجل تقي مؤمن، كما استعمل اسم (امرأة فرعون) و(مريم بنت عمران) وصفا لكل مؤمن في القرآن المجيد)).

وعلّق على ذلك بقوله: ((إنني لا أرى أن اجتراء هؤلاء على افتراء الكذب على الله أمرا غريبا؛ فالشيء من معدنه لا يُستغرب، وإنما العجب من عقول القطعان الجاهلة التي أسلست قيادها لهؤلاء الضالين، وتلقت هذا الإفك بالقبول، وصدق الله: (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا). إن مجرد نقل هذا الكلام كاف في إفساده.

لو سُلم جدلا أن أكثر الأحاديث الواردة في هذا الموضوع إنما هي كشوف ورؤى؛ أليست رؤى الأنبياء وحي؟ أو أنهم لا يؤمنون بذلك؟! وماذا عن القليل - الذي هو سوى الأكثر - ما حاله عندهم؟ وإذا كان أكثر الأحاديث يتطلب التأويل، فكيف سيصنعون بأقلها؟

لقد اتضح لأهل الإيمان أن النصوص الشرعية أصبحت نهبا عند هؤلاء النوكى؛ فيحورون ويؤولون، ويصرفون ويبدلون كما يشاؤون؛ فابن مريم في الحديث ليس النبي المعروف، وامرأة فرعون ومريم بنت عمران وصف لكل مؤمن!

وعلى هذه القاعدة التي يُصرف بها عن معناه كل ما لا يوافق الأهواء يمكن أن يقال: إن النصوص الواردة في الصلاة ليس المقصود بها الصلاة المعروفة وإنما شيء آخر، وكذا نصوص الزكاة والصوم، أما الحج فليس على ظاهره، ونصوص المعاد لا يراد بها حقيقتها، بل النبي محمد ﷺ لا

يُراد بكل النصوص التي ورد فيها ذكر اسمه ذاته الشريفة، وإنما يراد ببعضها رجل صالح من أمته! .. وهكذا أصبح الإسلام وأدلته ألعوبة بأيدي القاديانية الأحمدية، فقاتلهم الله أنى يؤفكون.))

الردّ:

لا داعيَ للتعليق على مسبّاته التي هي ديدنه.. ويبدو أنه لا يستطيع أن يردّ على فقرة واحدة من غير مقدمة سبابيّة؛ فالسبابُ غذاؤه ودواؤه.

أما تساؤله: ((أليست رؤى الأنبياء وحي؟)) فهي وحي بلا شكّ، وتساؤله هذا يدلّ على أنه لم يفهم ما قرأ في الرسالة. فقولنا إن الأحاديث الواردة في شأن الدجال ونزول المسيح ابن مريم وعلامات الساعة الأخرى إنما هي كشوف ورؤى، لا يُقلّل من قيمتها، ولا يجعلها ظنية أو اجتهادية أو ما شابه ذلك، بل كل ما يدل عليه هذا الكلام أنها بحاجة إلى تأويل كما هي الرؤى بحاجة إلى تأويل ولا تؤخذ على ظاهرها.. وهذا لا ينطبق إلا على الأحاديث المتعلقة بالنبوءات المستقبلية، أما أحاديث الأحكام وآيات العقائد والأحكام فهي على ظاهرها وليست رؤى وكشوفات، مع يقيننا أن كشوفات النبي ورؤاه وحي من الله.

أما السبب الذي من أجله قلنا إنَّ أحاديث الدجال ونزولَ المسيح وعلاماتِ الساعة الأخرى ليست إلا رؤى وكشوفات بحاجة إلى تأويل، هو أن الإيمان بها على ظاهرها يوقعنا في تناقضات مع أصول الدين؛ فهل

يمكن أن يحيي الدجال الموتى ويَمنحه اللهُ معجزاتٍ لم يُعطِها الأنبياءَ من قبل؟ فالأخذ بظاهر هذه الروايات يؤدي إلى القول بذلك. وثمة قضية أخرى جديرة بالانتباه هي أن النبوءات المستقبلية يصعب وصفها كما ستكون عليه، بل إن الناس لن يستوعبوها؛ فكيف سيوصف للناس الذين عاشوا قبل مئات السنين أنه سيكون هناك طائرة وقطار وبريد إلكتروني وتسوق عبر الإنترنت؟! وكيف ستكون ردة فعلهم لو سمعوا مثل هذا الكلام؟ ولماذا نُدخلهم في متاهات وتعقيدات هم في غنى عنها ولا تفيدهم؟! ومن باب ثالث لو جاءت علامات الساعة التي تتضمن علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام واضحة بيّنة جدا لكانت معجزة إلجائية، وعندها لن تكون هناك أي فائدة من الإيمان بها.. إن الإيمان الناتج عن تفكر وتدبر وتضحية وبذل جهد هو الذي يؤثر في صاحبه وينقله من طور الفساد الطبعي والخلقي إلى التحليق في فضاء الروحانيات بعد أن يسمو خُلُقه. وأنّى للسندي أن يفهم هذه الحقائق؟! وعلينا أن نعيد له التأكيد ثانية أن ذلك مقصور على النبوءات المستقبلية، أما العقائد الأخرى والأحكام قاطبة فلم تأت على شكل رؤى وكشوفات، بل جاءت عن طريق الوحي الظاهر الذي ليس بحاجة إلى تأويل.

أدلة صدق الإمام المهدي عليه السلام

ثم نقل السندي ما جاء في خلاصة الرسالة الصغيرة: ((فالمراد من نزول عيسى بن مريم بعثة رجل آخر من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم يشبه عيسى بن مريم في صفاته وأعماله وحالاته، وقد ظهر هذا الموعود في قاديان الهند باسم ميرزا غلام أحمد إماما مهديا، وجعله الله مثيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فكان هو المسيح الموعود والإمام المهدي للأمة المحمدية))

وعلّق بقوله: ((ولا أظن أني بحاجة إلى رد هذا الكلام الساقط...)) ثم تراجع وأخذ يحاول تفنيد هذا الكلام ذاكرا علامات ظهور الإمام المهدي ونزول المسيح والتي لا ينطبق منها شيء على إمامنا المهدي عليه السلام حسب تصوره، فذكر ما يلي:

((هل نزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين ملَكين؟ هل مات كل كافر وَجد ريح نَفَسه؟ هل قتل الدجال؟ هل كسر الصليب؟ هل كان حاكما عادلا؟ هل قتل الخنزير؟ هل جمع الناس على دين واحد هو دين الإسلام؟ هل كثر المال في عهده؟ هل وقعت الأمنة في الأرض؟ هل حج بعد نزوله؟ هل هل ... أسئلة كثيرة أطرحها لمن كان فيه أدنى مسكة من عقل أو جذوة من إيمان.))

الردّ:

لا جديد في هذا، فقد رددنا عليه سابقًا، وبيّنا أن علامات الساعة والنبوءات المتعلقة بتفصيلاتها ليست إلا كشوفات ورؤى.. فالسندي

يؤمن أن الدجال رجل يحيي الموتى، ولديه من المعجزات أكثر مما لـــدى الأنبياء رغم دجله، أما نحن فنؤمن أن الدجال هم قساوسة الغرب الذين جاءوا مع الاستعمار الذي جاء من كل حدب ينسل.. وهو يؤمن أنه لا بدّ من كسر الصليب ماديًا، وهذا يتعارض مع قوله تعالى (لا إكـــراه في الدين).. ويبدو أنه لا يتنبّه إلى هذا التعارض.. أما نحن فنؤمن بالكـــسر المعنوي؛ وهو القضاء فكريا على عقيدة الصليب.. وهو يريد أن يكون المهدي حاكما سياسيا، ونحن نؤمن أن الله يبعث مبعوثيه لينذروا الناس ويهدوهم وليس ليحكموهم ويكونوا قادة سياسيين أو عسكريين. وهو يريد من المهدي أن يقتل خنازير العالم، ونحن نُـــنَـــزِّهه عن مثل هـــذا العمل، فالخنازير التي يربيها أصحابها لا يجوز قتلها ولا التعـــرض لهـــا بسوء، رغم حرمتها في ديننا.. وهكذا بقية ما ذكرنا.

الخلاصة:

إن اختيار السندي لرسالة قصيرة جدا ليردّ عليها وتهربه ما مناقشة ما جاء في الكتب المطوّلة يُعتبر هروبا من مواجهـــة الحجـــج التفـــصيلية الواضحة.

ولّما كان المؤمنُ ليس بطعّان ولا بلعّان ولا بالفاحش البذيء حُقَّ لنـــا أن نتساءل عن مدى إيمان الرجل! فقد ملأ أوراقه طعنًا ولعنًا وفحـــشًا وبذاءة.. وكان يمكنه أن يناقش هذه الرسالة من غير أن يضع بين كـــلّ شتيمتيْن شتيمةً ثالثة.. لو أراد الخير.

لقد ثبت من خلال ردّنا عليه أن متسرّع في النقل، لا يبذل جهدا ليتثبّت، ولن نتهمه بالكذب الصريح كما هي عادته في اتّهام غيره من دون بيّنة.. لكن أقلّ ما يُقال عنه أنه إن جاءه فاسق بنبأ فلا يتبيّن، ولا يتورع عن قذف الآخرين بما ليس فيهم.

أما مسألة وفاة المسيح فأصبحت شائعة بين المسلمين بعد أن علموا أنها من مخلفات النصرانية، وبعد أن قرءوا الآيات القرآنية القاطعة في وفاته وفاة عادية كسائر البشر.

۞۞۞۞۞۞۞